المسامرة

بشرح المسايرة
في العقائد المنجية
في الآخرة

صلاح الدين الحمصي
دمشق
تلفاكس ٥٢٤٥٣٦١

المسامرة

بشرح المسايرة
في العقائد المنجية
في الآخرة

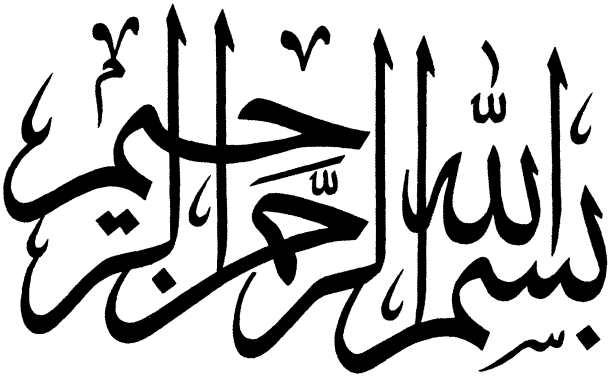
بسم الله الرحمن الرحيم

المسامرة

بشرح المسايرة
في العقائد المنجية
في الآخرة

للإمام كمال الدين محمد بن محمد
ابن أبي شريف المقدسي
المتوفى ٩٠٦ هـ

حققه وعلق عليه

صلاح الدين الحمصي

قدم له

فضيلة الشيخ

عبد الهادي محمد الخرسة

الطبعة الأولى

محفوظة جميع الحقوق

١٤٣٠هـ _ ٢٠٠٩م

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من المحقق.

الموزع المعتمد:

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

بقلم فضيلة الشيخ

عبد الهادي محمد الخرسة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن علم العقيدة الصحيحة أول واجب على كل مكلف، ومن ترك هذا العلم وهو قادر عليه؛ بأن آتاه الله تعالى قدرة على النظر والاستدلال ثم لم ينظر ولم يستدل.. فهو عاصٍ آثم، وإن العلماء الأوائل قد صنفوا في أصول العقائد كتباً ورسائل ملؤوها بالأدلة والبراهين القطعية الساطعة، فجزاهم الله تعالى عن الأمة الإسلامية خير الجزاء؛ لأنهم حفظوا على الأمة دينها، فالواجب على العامة من المسلمين قراءة هذه الكتب والرسائل على أيدي الخاصة من الباحثين والمحققين والمدققين؛ ليكونوا على بصيرة في دينهم وعلى هدىً من ربهم، فيعبدوا الله تعالى حق العبادة، ويتحققوا بصدق العبودية بين يديه سبحانه، ورحم الله تعالى الإمام ابن عطاء الله السكندري القائل في حكمه: مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية.

وإن من أمهات كتب العقائد كتاب «المسامرة بشرح المسايرة»، الذي قام الأستاذ المحقق صلاح الدين الحمصي بارك الله فيه بتحقيقه والتعليق عليه، وأطلعني على ذلك أثناء مراحل التحقيق والتعليق، فوجدته قد كسا هذا الكتاب حلَّة جديدة بما علق عليه من حواشٍ قيمة لكبار العلماء والأئمة رحمهم الله تعالى وجزاهم خيراً، فغدا الكتاب بذلك كاملاً مكمَّلاً لا يستغني عنه عالم من علماء الأمة أو طالب علم متخصص في علوم أصول الدين.

وإنني أدعو الله تعالى أن يوفق أخانا الأستاذ صلاح الدين الحمصي وأمثاله من النجباء لإخراج المزيد من كتب العقائد محققة، سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة، وذلك درءاً لمفسدة إخراجها من قبلِ غيرِ أهلها ممن انحرفت عقائدهم وأفكارهم اتباعاً لأهوائهم أو أهواء غيرهم.

وأدعو الله تعالى أيضاً أن يوفق العلماء إلى قراءة وإقراء هذه الكتب المفيدة النافعة على الملأ للعامة والخاصة ليحفظوا عليهم عقائدهم من الانحراف سيما أنه في هذه الأزمنة قد أُعلن بكافة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة عن عقائد المخالفين والمنحرفين، واطلع العامة من المسلمين على ذلك، فيخشى على هؤلاء البسطاء من المسلمين أن يظنوا الحق باطلاً والباطل حقاً؛ لما يرون ويسمعون من أساليب الدَّجل العلمي والفكري الذي يُلبِس فيه أصحابه الباطل ثياب الحق والحق ثياب الباطل.

أثاب الله تعالى الأستاذ المحقق على ما بذل من جهد في تحقيق هذا الكتاب، وجعل ثواب ذلك في صحيفة حسناته، ونفع به الخاصة والعامة من المسلمين والمؤمنين، وكتب له القبول بين عباده، آمين.

وكتب

الشيخ عبد الهادي محمد الخرسة

المتخصص في علوم العقيدة والتصوف

سوريا/ دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله واجب وجود الذات، المتفرد بالأسماء والصفات، المحيط بسائر ما أوجد من موجودات، دون أن يكون في جهة من الجهات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد علم الأعلام، من أرسل رحمة للأنام، بشرع ذي عرى لا انفصام، ما لمع نجم وناح حمام، وبرق رعد وسح غمام، وعلى آله وأصحابه نجوم هذه الأمة آمين، وبعد:

لم تكن الأخطار الفكرية التي تعرضت لها الأمة الإسلامية أقل خطورة من الأخطار الاستعمارية المتلاحقة التي نكبت بها، فلغة القلم تكون أحياناً أخطر من لغة السيف ـ وهذا ما يتجلى في عصرنا الحاضر ـ ولذا وجدنا كبار علماء الأمة أمثال الإمام الغزالي تصدوا لمناهضة هذه الأفكار المسمومة والذب عن حياض هذه الأمة، فكتبُ الإمام كـ((قواعد العقائد)) الذي سايره الإمام ابن الهمام في ((مسايرته)) برهنت على مدى الخطر الفكري الذي تعرضت له الأمة في زمنه، والذي لا زالت فلوله في زمننا الحاضر، ولا يتخيلنَّ امرؤ أن هذه الأفكار كانت حِكْراً على أعداء الأمة من غير المسلمين، بل كانت ويا للأسف الشديد رائجة عند عدد من أبناء هذه الأمة، يسوِّقونها ويزيدون عليها، فصدق فيهم قوله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله؛ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْجَمَاعَةُ))، وفي ((الأوسط)) للطبراني: ((قَالُوا: وَمَا تِلْكَ الفِرْقَةُ، قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي)).

أجل، هذه الفرقة التي أخبر عنها ﷺ كانت بحقٍّ تدافع عن هذه الأمة وتتمسك بالمحجَّة البيضاء التي تركها رسول الله ﷺ، والتي لا يزيغ عنها إلا هالك، ليلها كنهارها، ولقد تنوعت مشارب هذه الفرقة في دفاعها إلى مدارس حديثية، وكلامية، وفقهية، وغير ذلك،

والـذي يهمنـا الآن هـو المدرسـة الكلاميـة، والتـي تمثلـت بإماميهـا أبي الحسـن الأشـعري، وأبي منصور الماتريدي وأتباعهما، فثمَّة هجمة داحضة الحجج وهي في مهدها، أخذت ترفع رأسها في مهاجمة الماتريدية وكَيلِ التهم الباطلة في حقهم بأنهم يقـدمون العقـل عـلى النقـل، ولا أدري كيف داخلت هذه الشبهة عقول هـؤلاء الضـعفة، أهـي الجهـل بحـالهم أو نزعـة ظالمة عصبت أعينها عن رؤية الحقائق؟!

وها نحن الآن خدمةً للحق وإعلاءً للوائه في زمن لا يقل خطورة عن زمن السلف ومن بعدهم نقدم كتاباً يعد ركناً في المدرسة الكلامية الماتريدية، يدرك كنهه من ذاق حلاوته، إنه «المسامرة بشرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة»، يظهر زيف ما هوجمت به مدرسته، ويكشف الرَّان عن قلوب متهميها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

فأسأل الله المانَّ بفضله أن يحقق الغايات، ويسدد النيات، ويهيئ لهذا الكتاب علماء وطلبة علم يقرؤونه حقَّ قراءته، ويفهمونه حقَّ فهمه، فليس قصد مؤلفه الوقوف عند الحروف ولكن (قصدت فيه تقريب معانيه، وتبيين مبانيه، وتقرير مقاصده، وتحرير معاقده، سائلاً من الله سبحانه النفع به لي ولمن قرأه أو رقمه، ولمن فهَّمَه بعد أن فهِمَه، إنه تعالى ولي كل نعمة، وبه العون والتوفيق والعصمة).

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل لمن ساهم في إنجاح هذا العمل الجليل، سائلاً الله ﷻ أن يثيبني وإياهم الثواب الجزيل، ويجعلنا ممن يصدق فيهم «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ، إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

وأرجو ممن اطَّلع على هذا الكتاب أو قرأ فيه أن يتجاوز عن هفواتنا ويذكرني وإياهم بدعوة صالحة في ظهر الغيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

منهج العمل

تم نسج العمل في هذا الكتاب بحمد الله وتوفيقه طبقاً للخطوات التالية:

ـ اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على أربع نسخ خطية نفيسة هي: (أ، ب، ج، د) ـ وقد اعتمدت (أ) أصلاً[1] ـ مع الاستئناس بنسختين أخريين هما (هـ، و)، وتظهر نفاستها بقراءة خواتيمها بالإضافة إلى ما تمتعت به من فوائد وتحقيقات نفيسة كتبت في هوامشها قمت بإثباتها، إلاَّ أن في هذه الهوامش كلمات لم تتضح لي كتابتها وقراءتها، فإتماماً للفائدة وحرصاً على ألاَّ أضيع على القارئ شيئاً من الهوامش وضعت بدلاً عن الخفي إن كان كلمة [..]، وإن كان كلمتين [...]، وإن كان ثلاثة فأكثر [....]، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

ـ ضبط النص وتزويده بعلامات الترقيم المناسبة مساعدة على فهمه، وقد وضعنا قبل الشرط أو الخبر البعيد (..).

ـ انتقاء بعض العبارات والتحقيقات المفيدة من حاشية العلامة القاسم قطلوبغا على «المسايرة» وتوشية الكتاب بها.

ـ عزو الأقوال إلى المظانِّ التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى حسب الاستطاعة.

ـ تخريج الآيات القرآنية.

ـ تخريج الأحاديث التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى حسب الاستطاعة.

---

(١) إلا أنه قد اعتراها في آخر ورقة اهتراء فتم استدراك النص من بقية النسخ، ولم أشر إليه لكثرته.

ولم أقف خلال قراءتي لهوامش هذه النسخة على اسم مدوِّنها، لكن ظهر خلال أحد الهوامش [ص: ٢٨٩] عبارة: (هذا محصل ما أفاده أستاذنا السيد عيسى الصفوي)، فلعله أن يكون تلميذاً للسيد الشريف العلاَّمة المحقق قطب الدين أبي الخير عيسى بن محمد بن عبيد الله الصفوي الحسيني رحمه الله تعالى (ت ٩٥٣هـ). انظر ترجمته في «الكواكب السائرة» (٢/ ٢٣٢ـ٢٣٥)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٤٢٧ـ٤٢٨).

- ترجمة الأعلام والكتب التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى حسب الاستطاعة.
- تبحير أبيات الشعر المذكورة مع نسبتها لقائليها إن أمكن ذلك.
- وضع ملحق بالملل والنحل الواردة في الكتاب.
- وضع فهارس عامة للكتاب مشتملة على:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث الشريفة.

فهرس الأعلام.

فهرس الكتب التي ذكرها المؤلف.

فهرس الشعر.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

ترجمة المؤلف

رحمه الله تعالى[1]

اسمه ونسبه:

شيخ الإسلام، ملك العلماء الأعلام، حافظ العصر والزمان، بركة الأمة، علاَّمة الأئمة، كمال الدين أبو المعالي محمد بن الأمير ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف المقدسي الشافعي، سبط قاضي القضاة شهاب الدين أبي العباس أحمد العمري المالكي، المشهور بابن عوجان.

مولده ونشأته:

ولد ليلة السبت (٢٥) ذي الحجة سنة (٨٢٢هـ) بمدينة القدس، ونشأ بها في عفة وصيانة وتقوى وديانة، لم يعلم له صبوة ولا ارتكاب محظور.

حياته العلمية:

حفظ رحمه الله القرآن العظيم، و«الشاطبية» و«المنهاج» للنووي وعرضهما على قاضي القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين ابن حجر، وقاضي القضاة شيخ الإسلام محب الدين بن نصر الله الجبيلي، وقاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي، وشيخ الإسلام عز الدين المقدسي في سنة (٨٣٩هـ)، ثم حفظ «ألفية ابن مالك»، و«ألفية الحديث»، وقرأ القرآن بالروايات على الشيخ أبي القاسم النويري وسمع عليه، وقرأ في العربية، وأصول الفقه،

---

(١) «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» (٢/ ٣٧٨ـ٣٨٢)، و«الكواكب السائرة» (١/ ١١ـ١٣)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٤٣ـ٤٤)، و«الأعلام» (٧/ ٥٢).

والمنطق، واصطلاح الحديث، والتصريف، والعروض، والقافية، وأذن له في التدريس فيها سنة (٨٤٤هـ)، وتفقه بالشيخ زين الدين ماهر، والشيخ عماد الدين بن شرف، وحضر عند الشيخ شهاب الدين بن أرسلان، والشيخ عز الدين المقدسي، واشتغل في العلوم، كما أنه أخذ أيضاً عن الشيخ كمال الدين بن الهمام، وقاضي القضاة شمس الدين القاياتي، والمقر البغدادي، وغيرهم.

ورحل إلى القاهرة في سنة (٨٤٤هـ) وأخذ عن علماء الإسلام منهم: شيخ الإسلام ابن حجر وكتب له إجازة، ووصفه بالفاضل البارع الأوحد، وقال: شارك في المباحث الدالة على الاستعداد، وتأهل لأن يفتي بما يعلمه ويتحققه من مذهب الإمام الشافعي من أراد، ويفيد العلوم الحديثية من المتن والإسناد، علماً بأهليته لذلك وتلوحه في مضائق تلك المسالك. انتهى

وبالإضافة لسماعه الحديث من شيخ الإسلام ابن حجر فقد سمعه أيضاً من الشيخ زين الدين الزركشي الحنبلي، والشيخ عز الدين بن الفرات، وغيرهم من المشايخ الأعيان، وحج سنة (٨٥٣هـ) فسمع الحديث بالمدينة الشريفة على المحب الطبري وغيره، وبمكة المشرفة على أبي الفتح المراغي وغيره.

وفي سنة (٨٨١هـ) توجه إلى القاهرة المحروسة واستوطنها، وتردد إليه الطلبة والفضلاء، واشتغلوا عليه في العلوم، وانتفعوا به وعظمت هيبته، وارتفعت كلمته عند السلطان وأركان الدولة.

صفاته:

قال صاحب «الأنس الجليل»: وأما سمته وهيبته.. فمن العجائب في الأبهة والنورانية، رؤيته تذكر السلف الصالح، ومن رآه علم أنه من العلماء العاملين برؤية شكله وإن لم يكن يعرفه، وأما خطه وعبارته في الفتوى.. فنهاية في الحسن.

وبالجملة فمحاسنه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر، وهو أعظم من أن ينبه مثلي على فضله، ولو ذكرت حقه في الترجمة.. لطال الفصل؛ فإن مناقبه وذكر مشايخه يحتمل الإفراد بالتأليف، والمراد هنا الاختصار.

ثناء العلماء عليه:

قال صاحب «الأنس الجليل»: لم يزل حاله في ازدياد، وعلمه في اجتهاد، فصار نادرة وقته وأعجوبة زمانه، إماماً في العلوم محققاً لما ينقله، وصار قدوة بيت المقدس ومفتيه، وعين أعيان المعيدين بالمدرسة الصلاحية، وجد ودأب ولازم الاشتغال والأشغال إلى أن برع وتميز، وأشير إليه في حياة شيخه الزيني ماهر، وكان يرشد الطلبة للقراءة عليه حين ترك هو الإقراء، وكذلك المستفتين.

ثم قال: ووقع له ما لم يقع لغيره ممن تقدمه من العلماء والأكابر، وبقي صدر المجالس وطراز المحافل، المرجع في القول إليه والتعويل في الأمور كلها عليه، وقلده أهل المذاهب كلها وقبلت فتواه على مذهبه ومذهب غيره، ووردت الفتاوى إليه من مصر والشام وحلب وغيرها، وبعد صيته وانتشرت مصنفاته في سائر الأقطار، وصار حجة بين الأنام في سائر ممالك الإسلام، وغير ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيامه على حكام الشرطة ومنعهم من الظلم ومواجهتهم بالكلام الزاجر لهم.

ونظراً لما تمتع به الشيخ الكمالي من الأوصاف فقد ولاَّه السلطان قايتباي الأشرف مدرسته المحدثة في بيت المقدس سنة (٨٩٠هـ)، فحصل للمدرسة المذكورة وللأرض المقدسة بل ولسائر مملكة الإسلام الجمال والهيبة والوقار بقدومه، وانتظم أمر الفقهاء وحكام الشريعة المطهرة بوجوده وبركة علومه، ونشر العلم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وازداد شأنه عظماً وعلت كلمته، ونفذت أوامره عند السلطان فمن دونه، وبرزت إليه المراسيم الشريفة في كل وقت بما يحدث من الوقائع والنظر في أحوال الرعية، وترجم

فيها بالجناب العالي شيخ الإسلام.

وفي شهر شوال سنة (٩٠٠هـ) ورد إليه مرسوم شريف أن يكون متكلماً على الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف، وكان قد تولى مشيختها قبل ذلك مدة، ثم أضيف إليه التكلم على المدرسة الجوهرية وغيرها لما هو معلوم من ديانته وورعه.

مصنفاته:

«الإسعاد بشرح الإرشاد» في الفقه، و«الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع» في الأصول، و«الفرائد في حل شرح العقائد»، و«المسامرة بشرح المسايرة»، وكتب قطعة على «تفسير البيضاوي»، وقطعة على «صحيح البخاري»، وقطعة على «شرح المنهاج»، وقطعة على «صفوة الزبد» للشيخ شهاب الدين بن أرسلان، وغير ذلك.

ومن إنشاده في بيت المقدس بعد غيبته عنه مدة طويلة [طويل]:

أُحَيِّ بِقَاعَ الْقُدْسِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا ... فَتِلْكَ رِبَاعُ الأُنْسِ فِي زَمَنِ الصِّبَا

وَمَا زِلْتُ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا مُوَاصِلاً ... سَلاَمِي عَلَى تِلْكَ المَعَاهِدِ وَالرُّبَى

واشتهر من شعره في المواضع التي تباح فيها الغيبة [الكامل]:

الْقَدْحُ لَيْسَ بِغِيبَةٍ فِي سِتَّةٍ ... مُتَظَلِّمٍ وَمُعَرِّفٍ وَمُحَذِّرِ

وَلِمُظْهِرٍ فِسْقاً وَمُسْتَغْتٍ وَمَنْ ... طَلَبَ الإِعَانَةَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرِ

وفاته:

توفي رحمه الله يوم الخميس (٢٥) جمادى الأولى سنة (٩٠٦هـ).

❁ ❁ ❁

ترجمة صاحب المسايرة

رحمه الله تعالى[1]

اسمه ونسبه:

الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن الحميد بن مسعود بن همام الدين بن حميد الدين بن سعد الدين السيواسي الأصل، ثم القاهري الحنفي.

مات أبوه - وكان قاضي الإسكندرية - وهو ابن عشر أو نحوها، فنشأ في كفالة جدته لأمه، وكانت مغربية خيرة تحفظ كثيراً من القرآن.

حياته العلمية:

قدم الكمال صحبة جدته القاهرة فأكمل بها القرآن عند الشهاب الهيثمي، وحفظ «القدوري»، و«المنار»، و«المفصل» للزمخشري، و«ألفية النحو»، ثم عاد صحبتها أيضاً إلى الإسكندرية، فأخذ بها النحو عن قاضيها الجمال يوسف الحميدي الحنفي، وقرأ في «الهداية» على الزين السكندري، ثم عاد إلى القاهرة أيضاً وقرأ على يحيى العجيسي بلدي جدته، وفي المنطق على العز بن عبد السلام البغدادي والبساطي، وعنه أخذ أصول الدين، وقرأ عليه «شرح هداية الحكمة» لملا زادة، وكذا أخذ عن همام الدين شيخ الجمالية، والكمال الشمني، والشمس البوصيري، واجتمع بكل من حفيد ابن مرزوق وابن الفنري حين رجوعهما من الحج، وبحث مع كل منهما بما أبهر به من حضر، وأخذ شرح «المطالع» عن جلال الهندي،

---

(١) «الضوء اللامع» (٨/ ١٢٧-١٣٢)، و«بغية الوعاة» (١/ ١٦٦-١٦٩)، و«الفوائد البهية» (ص: ٢٩٦-٢٨٩)، و«شذرات الذهب» (٩/ ٤٣٧-٤٣٩)، و«البدر الطالع» (ص: ٧١٨-٧١٩).

وشرح «المواقف» عن القطب الإبرقوهي، وقال: إنه لم يكن في شيوخه أذكى منه، و«إقليدس» عن ابن المجدي، والدواوين السبع أشعار العرب عن العيني، وكان أحد المقررين عنده في محدثي المؤيدية، وغالب شرح «ألفية العراقي» عن ولد مؤلفه الولي، وأخذ الفقه عن السراج قارئ «الهداية»، قرأها بتمامها عليه في سنتي ثماني عشرة والتي تليها، وبه انتفع، وكان يحاققه ويضايقه مع وصف الكمال له بالتحقيق في كل فنٍّ، قال: ولكنه أقبل بأخرة على الفقه والحديث والتفسير وترك ما عداها.

ولما قدم المحب أبو الوليد بن الشحنة القاهرة.. قرأ عليه قطعة من «الشرح الصغير» شرح «منار حافظ الدين النسفي» للكاكي، ولازمه واستصحبه معه في سنة أربع عشرة إلى حلب، فأقام عنده بها يسيراً، ومات المحب عن قرب بعد أن أوصى له بنفقة استعان بها في رجوعه، وكان يثني على علم المحب.

تولى رحمه الله التدريس في القبة المنصورية والمدرسة الأشرفية مدة ثم ما لبث أن تركهما زهداً وإيثاراً للعزلة، وحباً للانفراد مع المداومة على الأمر بالمعروف، وإغاثة الملهوفين، والإغلاظ على الملوك فمن دونهم.

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام السخاوي: كان إماماً علامة، متواضعاً، عارفاً بأصول الديانات، والتفسير، والفقه وأصوله، والفرائض، والحساب، والتصوف، والنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والمنطق والجدل، والأدب، والموسيقى، وجل علم النقل والعقل، متفاوت المرتبة في ذلك، مع قلة علمه في الحديث، عالم أهل الأرض، ومحقق أولي العصر، حجة أعجوبة، ذا حجج باهرة، واختيارات كثيرة وترجيحات قوية، بل كان يصرح بأنه لولا العوارض البدنية من طول الضعف والأسقام وتراكمها في طول المدد.. لبلغ رتبة الاجتهاد، وقد تخرج به جماعة صاروا رؤساء في حياته، فمن الحنفية: التقي الشمني، والزين القاسم، وسيف الدين،

ومن الشافعية: ابن خضر، والمناوي، والوروري، ومن المالكية: عبادة، وطاهر، والقرافي، ومن الحنابلة: الجمال بن هشام.

وهو أنظر من رأيناه من أهل الفنون، ومن أجمعهم للعلوم، وأحسنهم كلاماً في الأشياء الدقيقة، وأجلدهم على ذلك، مع الغاية في الإتقان والرجوع إلى الحق في المباحث ولو على لسان آحاد الطلبة؛ كل ذلك مع ملاحة الترسل، وحسن اللقاء، والسمت، والبشر، والبزة، ونور الشيبة، وكثرة الفكاهة، والتودد، والإنصاف، وتعظيم العلماء، والإجلال للتقي بن تيمية، وعدم الخوض فيما يخالف ذلك، وعلو الهمة، وطيب الحديث، ورقة الصوت، وطراوة النغمة جداً بحيث يطرب إذا أنشد أو قرأ، وله في ذلك أعمال، وإجادته للتكلم بالفارسي والتركي، إلا أنه بأولهما أمهر، وسلامة الصدر، وسرعة الانفعال والتغير، والمحبة في الصالحين، وكثرة الاعتقاد فيهم، والتعهد لهم، والانجماع عن التردد لبني الدنيا حتى الظاهر جقمق مع مزيد اختصاصه به، ولكنه كان يراسله هو ومن دونه فيما يسأل فيه، بل طلع إليه بعد إحسانه إليه عند توجهه للحج فودعه، ومحاسنه كثيرة، وقد حج غير مرة وجاور بالحرمين مدة، وشرب ماء زمزم كما قاله في شرحه لـ((الهداية)) للاستقامة والوفاة على حقيقة الإسلام معها.

وقال يحيى بن العطار: لم يزل يضرب به المثل في الجمال المفرط مع الصيانة، وفي حسن النعمة مع الديانة، وفي الفصاحة واستقامة البحث مع الأدب.

وقال الإمام الشوكاني: وبالجملة فقد تفرد في عصره بعلومه وطار صيته، واشتهر ذكره، وأذعن له الأكابر فضلاً عن الأصاغر، وفضله كثير من شيوخه على أنفسهم.

مؤلفاته:

منها: ((شرح فتح القدير))، شرح فيه ((الهداية)) للمرغيناني، ولم يكمل بل انتهى فيه إلى الوكالة، و((التحرير)) في أصول الفقه و((المسايرة)) في أصول الدين في جزء مفرد، ومن

تصانيفه جزء في الجواب عما سئل عنه في حديث: «كلمتان خفيفتان».

وفاته:

عاد في رمضان سنة (٨٦٠هـ) وهو متوعك، فسر المسلمون بقدومه، وعكف عليه من شاء الله من طلبته وغيرهم أياماً من الأسبوع إلى أن مات في يوم الجمعة سابع رمضان سنة (٨٦١هـ)، وصلي عليه عصره في مشهد حافل شهده السلطان فمن دونه، وقدم للصلاة عليه قاضي مذهبه ابن الديري، وكان الشيخ يجله.

دفن رحمه الله بالقرافة في تربة ابن عطاء الله، ولم يخلف بعده في مجموعه مثله.

من كلماته: إذا صدقت المحبة.. ارتفعت شروط التكليف، وكذا من نظمه أول قصيدة كتبتها عنه[الوافر][1]:

إِذَا مَا كُنْتَ تَهْوَى خَفْضَ عَيْشٍ ... وَأَنْ تَرْقَى مَدَارِجَ لِلْكَمَالِ

فَدَعْ ذِكْرَ الْحُمَيَّا وَالْمُحَيَّا ... وَآثَارَ التَّوَاصُلِ وَالمَطَالِ

وَأَنْ تُهْدَى بِزَهْرٍ وَسْطَ رَوْضٍ ... وَأَخْبَارَ المَهَاةِ أَوِ الْغَزَالِ

وَكُنْ حَبْساً عَلَى مَدْحِ الْمُفَدَّى ... رَسُولِ الله عَيْنِ ذَوِي المَعَالِي

فَإِنَّ لَدَيْهِ مَا يُرْجَى وَيُهْوَى ... جَمِيلُ الذِّكْرِ مَعْ جَزْلِ النَّوَالِ

❁❁❁

(١) والكلام للإمام السخاوي رحمه الله تعالى.